مجلة
دراسات إنسانية

تصدرعن جامعة مستغانم
ISSN: 2437-119X

العـدد: 07 (2021)، ص ص54-72

الهوية العربية تحديات النظام العالمي الجديد

أ.هواري حمادي*

جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، (الجزائر).

Arab Identity Challenges of the New World Order

تاريخ الاستلام: 2021/03/05 تاريخ القبول: 2021/08/15 تاريخ النشر: 2021/12/25

الملخص:

الحديث عن الهوية العربية في ظل المتغيرات الراهنة والمستجدات في مختلف المستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يصطلح عليها بالنظام العالمي الجديد، يعتبر مسألة جوهرية، لأنه أساس فهم الكثير من القضايا أهمها قضية الصراع أو الحوار بين الحضارات وما تبعهما من أزمات وحروب، ويعتبر منطلقا لمعرفة مكانة العرب في النظام الجديد، وأرضية لمعرفة دور عناصر الهوية العربية كاللغة العربية والدين الإسلامي في المجتمع العربي وفي المجتمعات غير العربية اليوم، كما يكون مدخلا لإدراك علاقته بالعولمة ومدى تفاعله الإيجابي معها، ومجالا لمعرفة أثر التطور العلمي والتكنولوجي عليه، وخطره على الهوية إذ يجب معرفة كيفية التعامل معه.

الكلمات الفتاحية: الهوية العربية؛ النظام الجديد؛ العولمة؛ التحديات.

Abstract:

Talking about the Arab identity in light of the current changes and developments at various levels: The political, economic, social and cultural terminology of the new world order, It is considered a fundamental issue, because it is the basis for understanding many issues, the most important of which is the issue of conflict or dialogue between civilizations and the crises and wars that followed them.

*هواري حمادي، أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر
damahi.irauoh@oohay.rf

And It is considered a starting point for knowing the position of the Arabs in the new system, And a ground for knowing the role of elements of Arab identity, such as the Arabic language and the Islamic religion, in Arab society and in non-Arab societies today, It is also an entry point for realizing its relationship with globalization and the extent of its positive interaction with it, and an area for knowing the impact of scientific and technological development on it, and its danger to identity, as it is necessary to know how to deal with it.

Keywords: Arab identity; the new system; Globalisation; challenges.

1. مقدمة:

عندما نقدم قراءة أولية لهذا العنوان "الهوية العربية تحديات النظام العالمي الجديد"، ندرك أنه يعبر عن موضوع راهني يكتسي أهمية كبرى ويستحق الإثارة اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأن الحديث عن هويتنا العربية في ظل المتغيرات الراهنة والمستجدات في مختلف المستويات: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي اصطلح عليها بالنظام العالمي الجديد، يعتبر مسألة جوهرية، لأنه أساس فهم الكثير من القضايا أهمها قضية الصراع أو الحوار بين الحضارات وما تبعهما من أزمات وحروب، ويعتبر منطلقا لمعرفة مكانتنا كعرب في النظام الجديد، وأرضية لمعرفة دور عناصر هويتنا كاللغة العربية والدين الإسلامي في مجتمعنا وفي المجتمعات غير العربية اليوم، كما يكون مدخلا لإدراك علاقتنا بالعولمة ومدى تفاعلنا الإيجابي معها، ومجالا لمعرفة أثر التطور العلمي والتكنولوجي علينا، وخطره على هويتنا إذا لم نعرف كيف نتعامل معه، إذن كيف نفهم مسألة الهوية العربية في ظل مستجدات العولمة؟

2 - معنى الهوية العربية:

يبدأ البحث في حقيقة الهوية العربية من المفهوم العام للهوية، وفي البداية لابد من الإشارة إلى أنه لا يوجد مفهوما لغويا دقيقا للهوية، إذ لم ترد في معجم لسان العرب، مما يبين أنها من المصطلحات التي تم نحتها فيما بعد تأليفه، حيث ورد في اللسان أن "الهُوية تصغير هوة، وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة "(ابن منظور، 2005، ص 793)، وهذا ما يبين أنها لم ترد في اللغة العربية بمفهومها المتداول بل حسب علاقتها بمفهوم البئر والحفرة العميقة، لذلك سنرجع إلى تعريفها الاصطلاحي لضبط مفهومها، كما يعرفها 'لالاند' حسب أربع تعريفات (لالاند، 2001، ص 607) وهي:

علامة ما هو متماه، بالمعنى أ"تماثل معركة كونغرائز ومعركة سادوا"

ميزة فرد، أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يقال عنه أنه متماه، بالمعنى ب، أو إنه "هو ذاته" في مختلف فترات وجوده:"هوية الأنا" –"التعرف إلى هوية فرد محكوم...ستجربه المحكمة".

سمة موضوعين فكريين متمايزين في الزمان أو في المكان، لكنهما قد يتسمان معا بالصفات عينها –هذا المعنى يشار إليه عادة باسم هوية كيفية أو نوعية خاصة...

علاقة، بالمعنى المنطقي بين حدين أو طرفين متماهيين.

من خلال هذه التعريفات ندرك أن الهوية تدل على ماهية الشيء والتشابه في الصفات بين طرفين أحدهما الصفات والآخر هو الشيء الذي تطلق عليه، فعندما نقول هوية الجزائر عربية إسلامية فإن هذا يبين أن لغتها هي العربية ودينها هو الإسلام، فعندما نوظفه في فهم حقيقة الهوية العربية موضوعنا المطروق ندرك أنه يمثل تماهي عناصر اللغة العربية والدين الإسلامي وتاريخ العرب وعاداتهم وتقاليدهم مع الأمة العربية الإسلامية.

كما يرى الدكتور محمود يعقوبي أنها "مصدر صناعي مشتق من كلمة 'هو' للدلالة على أن الشيء هو هو وليس غيره أو بأنه لم يصر شيئا آخر" (يعقوبي، 1998، ص 174)، هنا يحدد 'يعقوبي' حقيقة لهوية حسب مفهومها المنطقي والذي مفاده أنها المبدأ الأول للعقل يبين أن الشيء هو ذاته ولا يمكن أن يكون غيره، كما يعرفها 'الجرجاني' في كتابه

التعريفات بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق. والهوية السارية في جميع الموجودات: ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لاشيء" (الجرجاني، 2006، ص 224) القول أنها مجموع العناصر المحددة لثقافة واحدة يترتب عنها شعور بالانتما ء لدى مجموعة من الأفراد، وبأن أصلهم مشترك ومصيرهم واحد، وعندنا نعود إلى هويتنا العربية نجد أنها ترتبط بمكونات ثقافتنا العربية وهي اللغة العربية والدين الإسلامي إضافة إلى مجموع عاداتنا وتقاليدنا، رغم أنها هذا المفهوم غير جامع مانع، لأنه لا يمنع من دخول أصحاب اللغات الأخرى كالأمازيغية والديانات الأخرى كالمسيحية، وعليه يمكن القول أن الهوية العربية تضم كل من ينتمي إلى ثقافاتنا العربية في معناها الشامل الذي يضم عناصر متجانسة ومتفاعلة ومنسجمة فيما بينها يحس من خلالها الفرد أنه ينتمي إلى وطن واحد أو أمة واحدة.

كما يجدر بنا الإشارة بصدد الحديث عن مفهوم الهوية العربية أنها لا تنفصل عن الهوية الإسلامية في أغلب الحالات، لأننا عندما نقول: الهوية العربية فإننا بالضرورة نضيف إليها كلمة إسلامية على خلاف الهوية الإسلامية التي تتميز بالاتساع والشمولية بحيث يمكن أن تطلق على هويات دول غير عربية كالإيران، لأننا "إذا نظرنا إلى التنوع الكبير في الأعراق (الاثنيات) واللغات، والأوساط الاجتماعية والعلاقات البيئوية، والمدارس العقائدية، والتجارب التاريخية...التي تتواجد في الفضاء الجغرافي الإسلامي، فإن مفهوم الهوية الإسلامية، يبدوا صعب التحديد" (أركون ولوي، 2006، ص 171) وذلك لتنوع وتشعب عناصره عقائدية وسياسية واجتماعية وثقافية ودينية، وفي الأخير يمكن الإشارة كذلك أن مفهوم الهوية ليس سياسيا بقدر ما هو ثقافي واجتماعي.

3- مفهوم النظام العالمي الجديد و أثره على الأمة العربية:

عندما نعود إلى هذا المصطلح نجده يحمل عدة أبعاد سياسية واقتصادية وثقافية قد تجعله يبدوا صعب الفهم، ولكن نفهمه بسهولة إذا وضعناه في مقابل وجود نظام عالمي

قديم، قام على تعدد الأقطاب أو القطبية الثنائية عن طريق الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي في حين يقوم هو على هيمنة القطب الواحد على كل ما يحدث في العالم على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن طريق الولايات المتحدة الأميركية ، كما أن فهمه على مستوى التاريخ والواقع بين أنه نظام يقوم على تصفية ذلك النظام ببلورة مجموعة من القوانين تسعى إلى تصفيته ترتبط بالقطبية الأحادية والهيمنة الغربية في جميع الميادين، انتهى إلى تجسيد الهيمنة الأميركية ، حيث "بعد أن انهار الاتحاد السوفيتي كقوة جيوبوليتيكية (أو جغرافية –سياسية) أصبحت الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة على سطح الأرض. وأصبحت الأوروبيون، بمن فيهم روسيا وتوابعها السابقون، يبحثون عن التحالف مع الولايات المتحدة وعقد الصفقات معها أكثر مما يحاولون منافستها أو حتى مجرد التفكير في ذلك، وهكذا أخذت الشعوب والأمم الجديدة في العالم الثالث تشعر بضغط الهيمنة عليها أكثر من ذي قبل" (أركون، 2004، ص156)، هنا ندرك أن النظام العالمي الجديد يقوم على الهيمنة المطلقة للولايات المتحدة على العالم بأسره، في شتى الميادين ليس الاقتصادية فحسب بل في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وخاصة الشعوب الضعيفة وعلى رأسها الشعوب العربية التي كانت تجد سندا ودعما من الاتحاد السوفييتي، حيث أصبحت تعاني من الضغط ومن سلبيات وآثار العولمة لعل أهمها تلك التي أثرت على هويتها.

إذن النظام العالمي الجديد مصطلح جديد استخدمه 'بوش' في حروب الخليج، يمثل مجموعة من القوانين تنظم العالم ما بعد الحرب الباردة في ظل تراجع المعسكر الشرقي تجسده مجموعة من المنظمات الإقليمية والدولية حكومية وغير حكومية كهيئة الأمم المتحدة وحقوق الإنسان، والشركات المتعددة الجنسيات وحلف الناتو والبنوك الدولية، الأنظمة العميلة، تسعى من خلاله إلى تحديد نظام العولمة أي أنه نموذج لنظام أحادي يقوم على القوانين كونية وشاملة تتحكم في السياسة والاقتصاد والثقافة العالمية، أي تجعلها منها ممارسات واجدة مقننة على مبادئ مشتركة، وقد كان في البداية في شكل

فكرة وضعها 'بوش' في مؤتمر مالطا سنة 1989 وتتمثل في صورة العلاقات الدولية كما تراها و. م. أ. وتريدها وتكون تصورات على ضوء التطورات التي طرأت في بداية العشرية الأخيرة من القرن العشرين تهدف من خلاله إلى نشر ايديولوجيتها وتكريس هيمنتها على العالم بمجموعة من القوانين والوسائل تحت إشراف منظمات حكومية بفكرة نشر الديمقراطية أو محاربة الإرهاب تجسد فيما بعد في سياسية قائمة بذاتها ظهرت في التدخلات عسكرية في الدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص مثل التدخل الأمريكي في العراق وأفغانستان، وقد ترتب عن هذا النظام الكثير من السلبيات على مسألة الهوية نجمت عن ظاهرة العولمة ففيما تتمثل يا ترى؟.

4 - أثر العولمة على مسألة الهوية العربية:

إن سلبيات وآثار العولمة تنعكس بوضوح على مسألة الهوية أكثر من أي مسألة أخرى، لأنه إن كان من السهل مواكبة معطيات العولمة لدي جميع الشعوب بما فيها الشعوب العربية على المستوى الاقتصادي والمادي، فإنه من الصعب تحقيقها على المستوى الثقافي والروحي الذي تندرج مسألة الهوية ضمن إطاره، وفي الواقع فإن العولمة "تحققت على الصعيد الاقتصادي والمصرفي-المالي والتكنولوجي قبل أن تتحقق على مستوى القيم الروحية والفلسفية والسياسية والقانونية"(أركون، 2004، ص 155) ومما لاشك فيه هنا أنها عولمة مادية وليست روحية، لأنها تعاني من وجود هويات متعددة كل واحد تسعى إلى فرض كيانها وعناصرها ممثلة في ثقافة الأقوى، ومما لاشك فيه أن الهوية العربية في ظل العولمة على الرغم من قوة دعائمها الثقافية والروحية كاللغة العربية والدين الإسلامي توجد في موقع ضعف نابع من الضعف والتخلف عن ركب الحداثة الذي يعاني منه العرب الذين أصبحت هويتهم ضحية صدام الحضارات المطروح في الفترة المعاصرة، إذن ترتبط الهوية العربية في علاقتها بالعولمة بصورة كبيرة بفكرة الصراع بين الحضارات، كما طرحها هنتنغتون حين أكد أن الحروب التي ترتبت عن النظام العالمي الجديد هي حروب هويات

وليس حروب المصالح الاقتصادية كما يبدوا للكثيرين، في إطار ما سماه التحالف الكونفوشيوسي الإسلامي ضد التحالف الغربي الذي شكل نموذجا للصراع والتنازع المبني على تجانس مقومات هوية الشعوب المشكلة لطرف الواحد وتباينها بين لم نقل تناقضها بين الطرفين،

كما أن النظام العالمي الجديد ومن خلال التعريف السابق هو في الواقع يمثل مجموعة قوانين وضعها الأقوياء وليس قوانين إنسانية وعالمية كما يقول أنصاره، وهي ما يتم بموجبها إخضاع الشعوب العربية لها مما يترتب عنه تهديد هويتها وكيانها باستمرار، بحيث يرى المفكر محمد أركون "أن سياسة المساعدة الإنسانية وحق الشعوب في تقرير مصيرها وحقوق الإنسان تحولت إلى مجرد شعارات مفرغة من مضمونها ومحتواها "إنها تستخدم كتغطية إيديولوجية من قبل أولئك الذين يستخدمون عمليات العولمة لصالحهم أو لتحقيق مآربهم" (أركون، 2004، ص 160) ومن هنا تكون الهويات التي يكون أصحابها من الأمم الضعيفة مهددة في كيانها ووجودها في إطاره، ومنها الأمة العربية التي تصبح على رأس الهويات المهددة والمستهدفة من خلال عناصرها كاللغة العربية والدين الإسلامي وتبعا لتخلفها عن الركب الحضاري الذي بلغه الغرب، فما هي تحدياتها في ظل هذا النظام العالمي الجديد؟

5 - مأزق الهوية العربية في ظل العولمة- قراءة في تصورعلي حرب-:

عندما نقول مأزق فإننا نقصد أن الهوية العربية كما هي متداولة في مفهومها في المجتمعات العربية خاصة، في أزمة لأنها تقوم على الأحادية والانغلاق والصراع مع الآخر الذي تعتبره خطرا مستمرا عليها يداهمها ويهددها في غالب الأحيان، وهذا التصور لا يخفى علينا أنه أصبح نكبة على العرب خاصة في عصر العولمة، التي عرفت زوال الرؤية الأحادية لحساب الرؤية الكونية في طرح مختلف العناصر ولاسيما تلك العناصر التي تكون الهوية كالدين واللغة والتاريخ.

إن الرؤية الأحادية والصراع مع الآخر هي اليوم من مقومات الهوية العربية اليوم للأسف الشديد، وهنا استوقفتنا أحد الآراء الجريئة في هذا الميدان، وجعلتنا نفكر مليا في مسالة الهوية الا وهو موقف المفكر اللبناني علي حرب الذي اعتبر الهوية فخا معبرا عن موقف متميز يستحق القراءة والإثارة، في قوله:

"صرت اعتبر أن السؤال عن الهوية هو سؤال مفخخ يرمي إلى استدراجي لكي أقع في الشرك، إذ هو يريد لي أن أكون رهنا لهويتي سجينا لمعتقدات وتقاليد وثوابت سلوكية أو فكرية لست انأ من اختارها.انه يكرس التقسيمات المعهودة بين البشر إلى أقوام وأعراق أو إلى طوائف وملل أو إلى مناطق وعوالم. وهذه التقسيمات لم اعد اسلم بها بل أحاول التحرر منها، وهي عندي أقنعة توظف في خدمة مشاريع سلطوية وتستخدم لتأجيج الصراعات بين البشر، ولهذا من الملاحظ أن أكثر اللذين يهتمون بمسالة الهوية والانتماء هم أصحاب العقائد، أكانوا ساسة أم كهنة أم فقهاء متكلمين. وبالإجمال فالنموذج العقائدي يتناول هوية بصورة حصرية أحادية دوغمائية، أي على نحو لا يمكن أن يؤول إلا إلى التحزب والتعصب والانغلاق على الذات في مواجهة الغير." (حرب، 2005، ص 105).

هذا النص يجعلنا نفهم سرا خطيرا من أسرار العلاقة بين مسألة الهوية والمتغيرات التي أفرزها النظام العالمي الجديد، إذ يعبر عن موقف قد يبدو غريبا بما يجمله من الجرأة والصراحة في بيان سماكة الغلاف الذي يحيط بمسألة الهوية معبر عن إيديولوجية عميقة ووعي مزيف تستغله أطراف شتى في قوله، ولكن لإدراك مضمونه لابد أن لا يقرأ قراءة سطحية، بل من الأولى قراءة ما لم يقرأ فيه بلغة المفكر نفسه لكي ندرك أنه هم المفكر المشتغل بالإنسان في بعده العالمي وليس في بعده العربي فحسب لا يعكس ضرب الهوية العربية كما يبدوا لنا، لذلك سنحاول قراءته حسب تصورين:

الأول نبدأه بسؤال هل علي حرب متمرد على هويته؟ طبقا لما ورد في النص يبدوا لنا للوهلة الأولى، أن علي حرب متمرد على هويته العربية أو يقود المسألة نحو العدمية، لكنه على خلاف هذا التصور يردف على النص السالف قائلا:

"لا يعني ذلك بالطبع، أن لا هوية لي، فأنا مشدود إلى الهنا والآن، وذاكرتي موشومة بالبيئة الثقافية التي تربيت فيها وبالجماعة التي أنتمي إليها. ولهذا فأنا أتوحد بأسماء ورموز معينة وأتماهى مع أمكنة وأزمنة تخصني ولا تخص غيري، ولو كنت في طرف الدنيا وقيل لي أن أهلك وقومك يتعرضون للمكاره لانفجرت بكاء إذا كنت بعيدا عنهم خاصة إذا كنت بعيدا عنهم" (حرب، 2005، ص 105)

هنا يبين علي حرب أننا لا نستطيع تصور الإنسان دون هوية ومبتورا عن ثقافة وواقع نشأ فيهما، بل هو يحمل دائما شعورا خاصا بانتمائه إلى هوية معينة يتخذ طابعا وجدانيا وعاطفيا يجعلنا نتألم عندما يتضرر من نشترك معهم في اللغة والدين والعادات والتقاليد ونسر ونفرح عند العكس، إن الهوية بهذا المفهوم شعور عميق يلازمنا ولا يفارقنا يدرك بوضوح في المواقف والمنعرجات الحاسمة، لكن لماذا يتهجم علي حرب على الهوية ويرى أنه مسألة متجذرة في شخصه ومن غير اللائق رفضها أو نفي وجودها رغم أنه ينقدها ويبين أن تمثل فخا ومكيدة؟، إن هذا التعارض الذي يحمله فيلسوفنا في طرح مسألة الهوية، يبين أنها في مأزق ولاسيما في عصر العولمة، لأنه ببساطة يعبر عن موقف مؤدلج حول مسألة الهوية لابد من تفكيكه وتجاوزه بكشف دوره في أسرنا في معتقدات وسوكيات وعادات وتقاليد ثابتة ترفض كل ما يخالفها ومتعصبة للثقافة لم يخترها الفرد الذي وجد فيها بل فرضت عليه فرضا، كما يبين أنها ما ترتب عنه من طائفية وصراعات بين الأقوام والملل في شتى أنحاء العالم هو ما وجب أن يحارب ويتحرر منه البشر، بكشف الأقنعة التي تخفيها المسألة في تكريس إيديولوجيات حين يستغلها الكهنة والساسة والفقهاء في تكريس رؤاهم وفرض هيمنتهم على نحو ينتهي إلى التعصب والانغلاق، لحساب تأسيس موقف أو تصور جديد لها فعلى ماذا يقوم يا ترى؟ لا نبالغ إن قلنا أنه الأنسب لمعطيات ومستجدات العولمة لماذا؟

الثاني نبدأه بسؤال كذلك: ما حقيقة الهوية أو ما الهوية الحقيقية في نظر علي حرب؟ إن الهوية الحقيقية تكون من خلال التماهي مع الآخر وليس مع التماهي مع الذات، يقول علي حرب:

"أنا وإن كنت عربيا مسلما، فإنني مسيحي لاعتقادي بأن الحق يتجلى في الخلق، ويهودي لأني أؤمن باصطفائي وأمارس نخبويتي، وإغريقي لأني أمارس التفلسف، وفرنسي لأنني تثقفت بثقافة الفرنسيين، وبوذي لأني أتوق إلى الفناء فيما أحب...هكذا فهويتي تتسع إلى حد يجعلني أحتقر نفسي وأرى إليها أدنى من حجر" (حرب، 2005، ص 106) هذا الموقف الذي يجعله ينتهي إلى أن الهوية تتميز بالانفتاح على الآخر، ونتيجة محددة مفادها "لا هوية ذات بعد واحد أو وجه واحد، بل هوية مركبة لها غير وجه وتنفتح على أكثر من عالم" (حرب، 2005، ص 106).

إن هذا التصور الذي يجعل الهوية كما هي متداولة عندنا في مأزق، مهم جدا في ظل العولمة لأنه يدعوا إلى هوية جديدة هي حسب علي حرب ليست ذات بعد واحد" بل هوية مركبة لها غير وجه وتنفتح على أكثر من عالم" (حرب، 2005، ص 106) هنا يقدم علي حرب تصورا رائعا حول المفهوم الإيجابي للهوية إن صح هذا التعبير، والذي ينطلق من تفادي طرحها في إطار التعصب والانغلاق والإقرار بالانفتاح والاستفادة من منجزات الغرب على شتى الأصعدة.

يمكن القول باختصار أن علي حرب يدعونا لاستنطاق الممنوع التفكير فيه حول مسألة الهوية ليبين أنها فخ أو مكيدة مدبرة من عناصر تخدم مصالح فردية ضحيتها الإنسان في بعده العالمي، ويبين كذلك أنه من غير المناسب الحديث عنها اليوم، والقول أن هويتي هي هكذا ولابد من محاربة الآخر للحفاظ عليها، لأن "المسألة هي الآن أكبر من أن نتحدث من الصراع بين الهويات والأدلوجات، وأخطر من النزاع بين الدول والأنظمة على المصالح، فهي تتجاوز النظام العالمي الجديد الذي يحكى عنه، أي تتجاوز الاقتصادي والسياسي والإيديولوجي والاستراتيجي لأنها باتت تتعلق بمستقبل ومصير الإنسان على هذا

الكوكب، وهذا يحتاج إلى رؤية جديدة للعالم وإلى عقد جديد بين الإنسان ونفسه وبينه وبين غيره وخاصة بينه وبين الطبيعة" (حرب، 2005، ص 109)، وهو بهذه الدعوة يريد الإشارة إلى أن هاجس الهوية وهم وزيف لابد أن نعوضه بالتفكير في الإنسان في بعده العالمي ومواجهة الأخطار التي تهددنا جميعا كحظر التلوث والأسلحة النووية والأمراض الفتاكة، وهو بهذا الموقف ينحى إلى تخليص مسألة الهوية من الشحنات الإيديولوجية المضافة لها والتي ترتب عنها نتائج وخيمة لا تحمد عقابها، وهو ما يجعلنا نقول انطلاقا من تصوراته أن الهوية الحقيقية هي هوية الإنسان العالمي سواء أكان عربيا أو أجنبيا هي في خطر مشترك يتحتم مواجهته في اقرب وقت، وهذا ما يجعلنا نتساءل ما تحديات الهوية العربية في ظل العولمة؟.

6 - تحديات الهوية العربية في ظل العولمة اليوم:

إن الهوية العربية في ظل معطيات العولمة اليوم تواجه عدة تحديات يمكن أن نبدأها بسؤال ما مصير الهوية العربية اليوم في ظل إفرازات العولمة في شتى الميادين؟

يبدأ البحث في هذا السؤال، بالإشارة إلى مصير الهوية العربية في ظل الأوضاع المترتبة عن العولمة في شتى الميادين والتي تنفصل فيما بينها سواء أكانت مادية، اقتصادية، روحية، وثقافية، والتي أردنا أن نركز من خلالها على الجانب الروحي والثقافي لصلته الوطيدة بمسألة الهوية، وبالضبط أردنا أن نفهمه في ظل فكرة خطيرة مترتبة عن العولمة أثرت سلبيا على هويتنا العربية الإسلامية ألا وهي فكرة الصراع أو الصدام بين الحضارات، التي أرسى دعائمها ونظر إليها الفيلسوف الأميركي 'صموئيل هنتنغتون' والتي يتبين من خلالها أن الهوية العربية في خطر فعلي كيف ذلك؟

وذلك لأنه انطلق من العالم ما بعد الحرب الباردة وأشار إلى نهاية الصراع الإيديولوجي بين المعسكر وزوال الخطر الأحمر ووضع بدله الخطر الأخضر المتعلق بالعرب بالدرجة الأولى كخطر داهم على الغرب في عالم اليوم وهو بالدرجة الأولى ينبع من هويتنا

التي تتناقض في تموينها وعناصرها مع هوية الغرب الذي يتصادم معنا ومع معطيات هويتنا،بحكم تمايز هويته عن هويتنا العربية والإسلامية، حيث أشار إلى أن العالم اليوم يعيش حروب هويات وثقافات وليس حروب اقتصادية فحسب، إذ يحدد ظاهرة الصراع بين الحضارات انطلاقا من اعتبار الحضارة "كيان ثقافي في أوسع معانيه" (هنتنغتون، 1999: 105) أي يربط الحضارة بالهوية الممثلة في العناصر الدينية واللغوية والثقافية المكونة لشعب من الشعوب، ويرى أن أي شعب يسعى دائما إلى فرض نفسه والمحافظة على هويته ، حتى إن تمسك بثقافة جديدة، وهو ما يترتب عنه صراع دائم على الهوية، ويعطي للهوية العربية الإسلامية نصيبها الوافر في نظريته عندما يرى أنها تمثل الطرف الأقوى في الصراع ولاسيما عندما يتحالف مع الحضارة الصينية فيما يسميه بالحضارة الكنوفوشوسية الإسلامية ضد الحضارة الغربية، في ظل ما يعرف بالنظام العالمي الجديد الذي عرف زوال الخطر الأحمر الشيوعي وعوض بالخطر الأخضر الذي يرمز للعرب والمسلمين، وهنا تكون مهمة ساسة الغربيين حسب هنتنغتون مواجهة كل الشعوب التي تسعى إلى المحافظة على هويتها، وأهمها الشعوب العربية لأنها تزعزع استقرار الغرب، وتهدد هويته التي يحاول فرضها بكل الوسائل بما فيها العسكرية والثقافية، وبالوفاء لسمة النظام العالمي اليومي والدفاع عنها وهي "التمركز الذاتي الغربي، وعدم التسليم بتعدد الحضارات"

(محفوظ، 2000، ص 108).

انطلاقا من نظرة هنتنغتون فإننا، نصل إلى أن المركزية الذاتية الغربية هي غاية النظام العالمي الجديد، وهي ما تنبجس من القطبية الأحادية، والشمولية والمركزية الغربية في مختلف الميادين في مقابل إلغاء الآخر وعلى رأسه الثقافة العربية وذلك لأنه يعتبر خطرا محدقا يهدد سيادة الغرب كنهاية للتاريخ، ويجب الحفاظ عليه بشت ىالوسائل، لعل أهمها طمس الهويات الأخرى، وعلى رأسها الهوية العربية، فما تحديات هذه الأخيرة في ظل النظام العالمي الجديد؟

تبعا لتأثير العولمة على الهوية فإن الأخطار المحدقة بالهوية في ظل العولمة، هي ما تجعل النظام العالمي الجديد يمثل تهديدا دائما لهوية الأمة العربية، من خلال انتهاكه لسيادة دولها، عن طريق التدخل بمختلف الوسائل في شؤونها الداخلية، لعل أهمها التدخل في سيادتها على أراضيها باسم نشر الديموقراطية وحماية حقوق الإنسان ومحاربة التطرف كما حدث في العراق في التسعينات، وهو ما يهدد هوية الأمة العربية ويجبرها على الانصهار في الثقافة العالمية، حين ينصب أنظمة عميلة له، ويدعم حركات تخدم مصالحه، وهذا ما يجعل التحدي الأكبر للدول العربية من أجل المحافظة على هويتها، هو سد الباب أمام التدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية بالقضاء على الاستبداد، ضمان حقوق شعوبها وغير ذلك من الوسائل التي تمنع تدخل الأجانب بأي طريقة، ولاسيما في ظل النظام العالمي الجديد الذي يسهل ذلك بهيئاته المختلفة كهيئة الأمم.

تبعا لما سبق وإذا كان النظام العالمي الجديد يجعل من العالم قرية صغيرة في ظل العولمة، فإن الركيزة الأساسية التي يقوم عليها هي جعل سياسة الدول مرتبطة بسياسته، والتي على الرغم من أنها سياسة الأقوى وجب على كل الدول بما فيها العربية أن تذعن لها وهو ما يهدد هويتها، باعتبار أي تمرد عليها باسم رموز هويتنا كاللغة والدين الإسلامي يعتبر تيارا أصوليا ومتطرفا، وهو ما يجعل الحفاظ على هويتنا هنا مرهونة بكيفية التعامل مع السياسة الدولية بانتهاج طرق رشيدة وحكيمة تمنع تدخل الأجانب عندنا كما أشرنا سالفا، وهي التي تحافظ على مقوماتنا الذاتية بصورة خاصة تقوم على الدهاء في توظيف الثوابت في مواجهة التحديات الراهنة التي فرضتها سياسة النظام العالمي الجديد.

إضافة إلى ما سبق نستطيع القول أن العولمة كسمة للنظام العالمي الجديد تتجاوز الوحدة السياسية التي أشرنا إليها السالفة، وبغض النظر عن والوحدة الاقتصادية التي لا يمكن إنكار دورها في تهديد هويتنا العربية، تعتبر خطرا كبيرا على هويتنا حسب ما تفرضه من أفكار وقيم تجعل ثقافة واحدة مهيمنة إنها ثقافة الغرب أو ثقافة الأقوى، الذي أصبحت لغته غير العربية، ودينه غير الإسلام، وعاداته وتقاليده المخالفة لقيمنا، في أعلى

الدرجات في مجتمعنا العربي ذاته في مقابل تراجع مكانة تلك المقومات بما فيها لغتنا العربية يوما بعد يوم، فعندما نتحدث عن الثقافة المحلية كمحدد لهويتنا نجد أنها ذات دور محدود جدا عندنا اليوم ولاسيما بعد التطور الحاصل في ثقافة الآخر، والذي أصبح يروج لثقافته وينشرها في جميع الأقطار، بعد تطور وسائل الإعلام والاتصال التي تعتبر تابعة له ومن إنتاجه وهي ما يجعلها تنشر ثقافته وتفرضها بقوة الاستعمال، فوسائل الأنترنت والأقمار الصناعية والهواتف بمختلف أنواعها تشتغل بلغة الآخر وتعبر عن قيمه وعاداته وتقاليده لها النصيب الوافر في ضرب الهوية العربية، بحيث أن معظم القنوات التلفزيونية بما فيها العربية في الكثير من الأحيان، ترفع دائما من شأن ثقافة الغرب على أنه هو الحضارة وهو الديمقراطية وهو الجنس الأرقى، وتصل إلى ضرب أصول هويتنا العربية بما تنعت به العرب من أصولية وجمود يغذيها تخلفهم في شتى الميادين، والأدهى والأمر من ذلك هو وجود قنوات عربية موجهة ضد العرب وتروج لثقافة الغرب تصل إلى حد ضرب أهم مقومات هويتنا كاللغة العربية والدين الإسلامي، وكل هذا خطر على هويتنا لا مفر في مواجهته من استيعابه والتأثر الإيجابي بمنجزاته، وهنا يكون التشبث بالتراث كما يذهب البعض غير مناسبا للمواجهة، بل من الأولى فهم منجزات الغرب واستخدامها في فهم التراث وخاصة إن كنا غير مبدعين ومستهلكين.

انطلاقا مما سبق يمكن أن نحدد الهوية العربية انطلاقا من موقعها في ظاهرة الصراع بين الثقافات الذي تحمله العولمة وموقع الثقافة العربية فيه، فإن العولمة تجسد ثقافة الأقوى حسب ما يملكه من قدرات علمية وتكنولوجية، وهنا إذا كنا لا نملك هذه القدرات فأين مكان ثقافتنا العربية في العالم وكيف ينعكس ذلك على هويتنا؟ لاشك أننا لا نكون مبالغين إن قلنا أن مقصاة وعلى الهامش وهويتنا نحو الزوال ما لم نتدارك الأمر في أقرب وقت، لأننا في موقع ضعف باعتبار ثقافاتنا لم تواكب المستجدات التكنولوجية والعلمية، أوهم ركائزها وهي اللغة العربية أصبحت مجرد لغة شعر وفصاحة وبلاغة ليس إلا لا تهضم المتغيرات، ليس مناسبة للتفكير، بعيدة عن الركب العلمي، وبالتاليلا مناص في

النظر الكثير من الناس وحتى الباحثين العرب من تعويضها بلغة أجنبية في بحوثنا إن أردنا مواكبة التطورات، هنا ألم تصبح لغتنا العربية في خطر؟ لأن تدبير مختلف شؤون الحياة بما فيها الفكرية والثقافية يتم بآليات غربية كوسائل الإعلام، وحتى مقومات تراثنا العربي الأصيل كالقرآن أصبحت تفهم بمناهج غربية وهو ما يجعلها مقولبة على منوالها ويترتب عنها زوالها واضمحلالها تدريجيا، هذا من جهة ومن ناحية أخرى ارتبطت اللغة العربية اليوم بالعرب وواقعه م المتخلف، وأنظمتهم السياسية المستبدة، وحروبهم الأهلية، وسلوكياتهم المختلفة التي كثيرا ما تعبر عن قيم قوم من العرب وليس عن الهوية العربية الأصيلة، فثقافتهم في نظر الكثير من الباحثين الغربيين تعتبر نموذجا للتطرف والأصولية والتعصب واللاتسامح، والإرهاب لا سبيل للتحضر إلى بمواجهتها بشتى الوسائل ترتب عنه ضرب الغرب لهويتنا العربية بشتى الطرق باسم محاربة تلك الظواهر ونشر العدل والحرية والديموقراطية.

يؤكد المفكر المغربي علي أومليل أن مسالة الهوية في الفكر الغربي لم تعد مطروحة اليوم، وهي لم تتداول بحدة إلا عند العرب، بحيث يقول أنه "لم يكن الغرب وقد أصبحت حضارته مهيمنة يطرح مشكل الهوية وإنما تطرحها الأمم المغلوبة ونخبها بالذات" (أمليل، 2005، ص 119) وذلك لأن مسألة الهوية في نظره ترتبط بأمة مغلوبة على أمرها تصبح هويتها في خطر وفي حاجة إلى صون وحفظ والذي لا يكون بالتعصب للتراث ولكن بإدراك وسائل الحفاظ عليها ومعرفة سر تفوق الآخر علينا، كمصدر جعله يفرض هويته علينا وعلى غيرنا من الأمم الضعيفة شئنا أم أبينا، وعليه علينا أن نستلهم ذلك السر ونفهمه حسب العناصر التالية:

معرفة تفوق الغرب في تنظيم الاقتصاد والمجتمع والدولة

الوعي بتفوقه العلمي والتكنولوجي.

إدراك تربية الأجيال على الحرية والمبادرة

معرفة حق الشعب في اختيار حكامه

حرية التعبير والصحافة

سيادة القانون والمساواة أمامه

وكل هذه العناصر سبيل حفاظ الغرب على هويته، وهي ما تجعله يحافظ عليها دون أن يثيرها ويشحنها انفعاليا وإيديولوجيا كما هو في مجتمعاتنا العربية.

إن أهم تحد يطرح للعرب والذي يضمن الحفاظ على هويتهم في نظر الكثير من الفلاسفة المعاصرين، هو مواكبة الحداثة لأنها حسب أركون "ظاهرة العولمة الضخمة تدفعنا إلى أن نتجاوز فلسفيا وأخلاقيا وقانونيا ومؤسساتيا كل الأنظمة العقائدية واللاهوتية الموروثة عن الماضي" (أركون، 2004، ص 161) إذ يقدم أركون دراسة عميقة لظاهرة العولمة ويرى أنها ظاهرة إيديولوجية ووسيلة للهيمنة من الغرب على الشعوب الأخرى وعلى رأسها الشعوب العربية، قامت على أسس اقتصادية وسياسية وتكنولوجية غايتها الهيمنة الأميركية والغربية ككل على العالم، نتيجة لتغلب الجانب التكنولوجي النفعي فيها على الجانب الروحي الإنساني، واعتبرها مادية تهمش أقوال الأنبياء والمصلحين و آراء الفلاسفة والشعراء والفنانين الداعية إلى الوحدة الروحية والانسجام الثقافي وحقوق الإنسان العالمي في الحرية والتعبير والفكر والعقيدة لحساب المصالح والمنافع الاقتصادية التي تتأسس عليها، ويعتبرها "مصطلح مؤدلج أكثر من اللزوم بل ومستهلك فاقد لروحه، الغرب يرفعه كشعار إيديلولوجي للضغط على الآخرين أكثر مما يتقيد به عندما يتعامل مع الآخرين" وينتقد من ناحية أخرى مواجهة الشعوب العربية لها عن طريق العودة إلى التراث الكلاسيكي الجامد، فهي في منظوره تحتاج إلى جانبها الروحي عند الغرب والعرب على خد سواء إلى تغيير سلوكيا ت الإنسان العالمي بالاهتمام بمنجزات العلوم الإنسانية في التعامل مع العناصر المشكلة لهوية الإنسان في مفهومه العالمي والشامل.

يؤكد الكاتب محمد محفوظ في كتابه الحضور والمثاقفة، أنه "مع التطور العلمي، وما رافقه من تكنولوجيات وتقنيات عالية المستوى، ودخولها كل مرافق ومجالات الحياة باتت كل الهويات الوطنية مهددة بالمسخ والتشويه، لما يصاحب هذا التطور من عمليات معرفية

وحضارية تتجه وتهدف إلى تغيير النسق العقدي والحضاري الذي تسير عليه هذه المجتمعات والشعوب" (محفوظ، 2000، ص 119) هنا يتبين أن التحدي الأكبر للهوية العربية هو مدى قدرتها على التفاعل مع الجديد ومسايرة التطورات التقنية والعلمية، ويبين أن الخطوة الأولى لاستيعابها هي" تحريك عناصر الثقافة الوطنية وتنشيط أطرها الاجتماعية حتى تتأهل نفسيا، ومعرفيا واجتماعيا لهضم تقنيات العصر" (محفوظ، 2000، ص 120)، كما يبين أن عدم نجاح المشاريع الحداثية وغيرها راجع إلى عدم انسجامها مع هوية المجتمع الأصلية، لذلك لابد أن تكيف طبقا لها، ويكون هناك تمازج واتساق بين عناصر الهوية الحضارية بعناصرها العليا وأطرها الثقافية والحضارية وتمثل أطر معرفية واجتماعية مع عناصر الثقافة الوطنية. لأن ربط هذه الأخيرة بالتحديات اليومية يجعل المجتمع يندفع نحو تطلعات مناسبة لعصره ومرتبطة بهويته، وينتهي إلى أن "المواطن بإخلاصه وعمله وتأديته واجباته الوطنية على أكمل وجه هو الجسر الحيوي الذي يربط بين الهوية الحضارية والثقافة الوطنية" (محفوظ، 2000، ص120).

إضافة إلى ما سبق نرى أن أهم تحديات الهوية العربية هو انفصال الحديث عنها عن الإسلام باسم العلمانية وغيرها، ونحن هنا لا ننكر حق المسيحيين العرب فيها، أو قيمة التفكير العلماني، ولكن لابد أن نقول مع المفكر هشام جعيط أن "الهوية في الأساس عربية، إسلامية، فلا عروبة دون إسلام دينا وانتماءا ولا إسلام عميقا في المستوى الثقافي دون تعمق في العربية وتوغل فيها"، وذلك نظر للتجانس بين اللغة العربية لاسيما إن كانت لغة القرآن مع الإسلام الذي يتأسس عليه كنص أول، واليوم في ظل المتغيرات أصبح البعض يتنكر لدور اللغة العربية في فهم الإسلام وبفهمه في إطار لغة الآخر وهو بدوره يعتبر طمسا للهوية.

الخاتمة:

انطلاقا من هذه المداخلة ندرك أننا لا نستطيع إنكار وجود هوية عربية قائمة بذاتها في عصر العولمة لكن لابد أن تفهم من منظور إيجابي يقوم على مقتضيات العولمة وجوهرها

الانفتاح على الآخر والاستفادة من منجزاته، والهوية العربية وإن كانت قائمة بذاتها فإنها ليست مستقلة عن الهويات الأخرى، ولابد أن لا ننظر إليها من موقع الصراع مع الهويات الأخرى بل من موقع التفاعل والتكامل معها لخدمة الإنسان في بعده العالمي، وقد يقول لنا البعض أن هذا الموقف يعتبر مثاليا ومتعاليا لأن الواقع الذي خلفه النظام العالمي الجديد يجعل علاقتها تتخذ طابع الصراع والمقابلة مع الهويات الأخرى التي انتهكت هويتنا العربية الأصيلة كما اشرنا سالفا، هنا نقول لا مناص لنا من مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي وإبداع الوسائل والآليات كوسائل الإعلام بالدرجة الأولى إن أردنا أن لا تنتهك هويتنا، ولا سبيل لتحقيق ذلك بالمحافظة على اللغة العربية في الاستعمالا ت المختلفة أو التزام تعاليم ديننا الحنيف والتحلي بعاداتنا وتقاليدنا فقط، كما يبدوا للكثيرين، بل من الأولى الاهتمام كذلك بالعلم والعقلانية والإبداع في مختلف المستويات والذي يتحقق بالانفتاح على الآخر والتخلص من الانفعال بحضارته وتعويضه بالتفاعل مع حضارته ولكن مع التفاعل دون الانفعال كذلك مع عناصر تراثنا ومقوماتنا كاللغة العربية والدين الإسلامي وقراءة نقدية موضوعية لسبب العجز عن اثبات وجودهما، تلك المهمتين تعتبران آليتين جوهريتين للحفاظ على الهوية في ظل النظام العالمي الجديد، والتي تتأسس على العمل جازمين على الخروج من دائرة التخلف في شتى الميادين هو التحدي الأكبر للحفاظ على هويتنا في ظل النظام العالمي الجديد.

باختصار نقول أخيرا:

"إن هويتنا جزائرية أو عربية أو إسلامية نحافظ عليها عندما نحقق مبدأ التفاعل مع المحلي والخارجي على حد سواء دون الانفعال بهما"

المراجع:

-ابن منظور.(2005). لسان العرب، ج.8ن، ط.1، دار الكتب العلمية.

-أركون، محمد ولوي، غارديه.(2006). الإسلام بين الأمس والغد، (ترجمة: علي المقلد).

-أركون، محمد.(2004). قضايا في نقد العقل الديني- كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ط. 3، (ترجمة: هاشم صالح).

-أندري، لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية، ط. 2، بيروت: منشورات عويدات باريس.

-أومليل، علي. (2005). سؤال الثقافة المركز الثقافي العربي، ط.1.

-الجرجاني، شريف. (2006). التعريفات، ط.1، مؤسسة الحسني.

-حرب، علي. (2005). الممنوع والممتنع-نقد الذات المفكرة- المركز الثقافي العربي، ط.4.

-محفوظ، محمد.(2000). الحضور والمثاقفة، -المثقف العربي وتحديات العولمة- المركز الثقافي العربي.

-هنتنغتون، صموئيل.(1999). صدام الحضارات، ص105.

- يعقوبي، محمود. (1998). معجم الفلسفة، ط.2، الميزان للنشر والتوزيع.